جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - ظهر المهراز
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Dhar El Mahraz
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES

سوسيولوجيا التغير الاجتماعي

مساءلات في الدين والهوية والقيم

تنسيق:

عبد الرحيم العطري

Publications
Psychological, Sociological &
Cultural Studies

منشورات
مختبر الدراسات النفسية
والاجتماعية والثقافية

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز
مختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية

***

كتاب جماعي مُحكم

***

سوسيولوجيا التغير الاجتماعي

مُساءلات في الدين والهوية والقيم

تنسيق: عبد الرحيم العطري

- الكتاب: سوسيولوجيا التغير الاجتماعي: مُساءلات في الدين والهوية والقيم
- تأليف: مجموعة من الباحثين
- تنسيق: الدكتور عبد الرحيم العطري
- الناشر: مختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية، فاس
- الطبعة: الأولى
- السنة: 2021
- الإيداع القانوني: 2021MO4558
- ردمك:978-9954-9260-7-9
- طبع وتصميم: مطبعة آنفو –برانت، 12 شارع القادسية – الليدو – فاس
- الهاتف: 06.61.20.16.41/05.35.64.17.26/ الفاكس 05.35.65.72.47
- البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail. com

- حقوق الطبع محفوظة لمختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية
- الأفكار الواردة في هذا المؤلف الجماعي تعبر عن وجهات نظر أصحابها

اللجنة العلمية الخاصة
بالقراءة والتحكيم:

- الأستاذ الدكتور عبد الكريم مرزوق، عميد الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة الأخوين، إفران
- الأستاذ الدكتور لحبيب امعمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس
- الأستاذ الدكتور أحمد شراك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس
- الأستاذ الدكتور عبد الغني منديب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- الأستاذ الدكتور جمال فزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- الأستاذ الدكتور عبد الرحيم عنبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير
- الأستاذة الدكتورة كنزة القاسمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير
- الأستاذة الدكتورة حنان زعيرك، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- الأستاذ الدكتور عبد القادر امحمدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس
- الأستاذ الدكتور محمد شرايمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مارتيل، تطوان
- الأستاذة الدكتورة كريمة الوزاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مارتيل، تطوان
- الأستاذ الدكتور عبد الغني زياني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس
- الأستاذة الدكتورة حنان حمودا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط
- الأستاذة الدكتورة فوزية برج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء
- الأستاذ الدكتور عبد الكريم القنبعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس
- الأستاذ الدكتور عبد الرحيم العطري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

المحتوى

عنوان المساهمة	المؤلف	ص
تقديم: أسئلة التغير الاجتماعي	د. عبد الرحيم العطري	7
مدخل إلى التغير الاجتماعي	د. عبد الهادي أعراب	13
سوسيولوجيا التغير الاجتماعي:رؤية نظرية تحليلية	د. محمد بو النعناع	21
مقومات قيم الديمقراطية التشاورية عند هابرماس	د. محمد خالص	33
كيف نقرأ التجربة الدينية؟مداخل أولية للفهم والتأويل	د.عبد الرحيم العطري	51
في تغير القيم وبناء الهويات الرقمية لدى الشباب الجامعي	د. عبد الرحيم عنبي	69
الدين والسياسة: عناصر سوسيولوجيا نقدية لألعاب السلطة والتضبيط بالمغرب	د. محمد راضي	85
سوسيولوجيا التدين والاقتصاد كإيتيقا: مراجعة تحليلية في المتن "الفيبيري"	ذ.مصطفى بنزروالة	93
التدين الشعبي بمنطقة الغرب: دراسة لموسم سيدي الخطاب	ذ. علي تيزنيت	101
الصعود السياسي الحذر للإسلاميين: بين الاختيارات المرجعية القيمية والمواقف السياسية	ذ. محمد قنفودي	121
دينامية الروابط الاجتماعية بواد نون جنوب المغرب التعاونية العائلية بجماعة أسرير	دة. كوثر لبداوي	137
الهوية الاجتماعية أو إنتاج الإسم في الجنوب المغربي بين الروابط القَبَلية والرهانات الفردية	د. أناس ابن الشيخ	153
استشكال الهوية لدى الشباب: جدل الثبات والتغير	دة. نجاة الوافدي	167
الصراعات الإثنية وقلق الهوية الثقافية: محاولة للفهم والتفسير	ذ.سفيان شعو	181
من الكائن الاجتماعي إلى المواطن الإليكتروني: بحث في الهوية الافتراضية	ذ.هشام كموني	195
المرأة في ظل التحولات القيمية بالمغرب	ذة.نادية حرفي	219
جائحة كوفيد 19 والروابط الاجتماعية: قراءة أولية في التداعيات والمآلات	ذ. إبراهيم بلوح	227
تحولات "لكصر" في المجتمع الواحي	ذ. الصديق الصادقي العماري	239

- **ملحوظة: ترتيب المساهمات خاضع بالضرورة لاعتبارات موضوعاتية (تيماتية) وفنية.**

تحولات منظومة القصر بالمجتمع الواحي

ذ.الصديق الصادقي العماري*

مقدمة

ما القصر (لكصر)؟ وما الشروط والضوابط القيمية التي تؤطر ساكنيه؟ وما الثابت والمتحول منها؟ وأين يظهر التحول الذي عرفته بعص جوانب منظومة القصر؟ وما الذي تبقى من القصر؟

لقد حاول الإنسان الواحي بفعل مجموعة من الآليات والأساليب والتقنيات الطبيعية، أن يخلق نوعا من التأقلم مع بيئته الصحراوية رغم قساوة الظروف الطبيعية، حيث عمل على توفير الشروط المناسبة لهذا التأقلم، وذلك عبر إنشاء قصور وقلاع وقصبات، مستعملا الطين والطوب والحجر والماء والتبن، ومنتوجات محلية من خشب الأشجار. كما تم خلق نظام مائي يعتمد على مصادر تقليدية مثل الآبار و"الخطارات"[1]، وفعلا تمكن من بناء نظام إنتاجي محكم، للتحكم في تعبئة الثروات المائية والترابية والنباتية، من أجل ضمان استقراره واستمراريته. هذا التفاعل مع البيئة الصحراوية في مجالات الحياة الطبيعية والثقافية والاجتماعية، يبرز الأهمية البالغة لهذه البيئة باعتبارها نظاما وإنتاجا فكريا يحمل تصورات ومعتقدات وطرائق وأساليب الإنسان الواحي في التفكير والعمل، سواء تعلق الأمر فالأفراد أو الجماعات.

وبهذا المعنى، تعتبر العمارة والتنظيم الاجتماعي والثقافي للمناطق الواحية مدخلا من مداخل فهم الحياة الاجتماعية بمختلف أبعادها، والتعرف على التحول الذي طرأ عليها على مر التاريخ، ومختلف المؤثرات الداخلية والخارجية المساهمة في هذه الدينامية، هذا التحول في أسلوب العيش يعود في بعص جوانبه إلى مخلفات السياسة الاستعمارية، خاصة ما يتعلقبإعادة بنينةالأسس القديمةالتي تقوم على التضامن الآليوالتنقل والترحال، والسعي إلى تأسيس بنيات جديدة تستجيب للمتطلبات الثقافية والاقتصادية التي أصبحت تمليها الحياة العصرية.

يجد المجتمع الواحي ذاته أمام مجموعة من التحديات والإكراهات، تتأرجح بين الاستقرار والتأقلم مع متطلباته، وبين التحضر وقوة زحفه، وكل ذلك سينعكس على سلوكات الأفراد والبيئة الطبيعية، خاصة أمام ندرة الماء الذي تتمركز حوله جل

---

* - باحث في علم الاجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس.

[1] قناة باطنية بطول يتراوح بين 1كلم و20 كلم، لجلب الماء من العليا على عمق يصل إلى 20 متر أو أكثر إلى السافلة على السطح بشكل مستمر لسد الخصاص من الماء بالواحات والمناطق الجافة.

العلاقات الاجتماعية والقيمية والثقافية، مما سينعكس لا محالة على السكن والقطاع الفلاحي والزراعي الذي يعد مفتاح النشاطات الاقتصادية والمعيشية اليومية بالواحات. كما أن التزايد الديمغرافي بالمجتمع الواحي أمام قلة الموارد الاقتصادية وهشاشة السكن القديم في غياب الترميم، سيدفع البعض إلى الهجرة الداخلية إلى المراكز المدينية، والخارجية إلى بلاد أوروبا.

فالملاحظة الأولية لمختلف جوانب الواحة تظهر نوعا من الثبات في بعضالمظاهر الثقافية في جانب منها، تتبدى من خلال العادات والتقاليد اليومية، غير أن هناك تحولات ظهرت في الواجهة عبر سلوكيات وممارسات ظاهرة في المعيش اليومي للإنسان وفي سيرورة المجال. لذلك الحديث عن القصر بالمجتمع الواحي هو حديث عن ثقافة ومدخلات اقتصادية واجتماعية وسياسية، فهو لا يتمظهر فقط في نوع البناء أو طبيعة الجدران أو المواد الأساسية للبناء، بل إن القصر منظومة قيمية متكاملة من مجموعة من الممارسات والسلوكيات التي تؤطر المجتمع الواحي. وبهذا المعنى يحق لنا البحث والتنقيب عن مجمل هذه القيم، والثابت والمتغير فيها، وكذلك بعض المؤثرات التي كانت وراء هذا التحول.

1. القصر كثقافة

شكل السكن التقليدي المتمثل في القصر النموذج الأساس المعتمد بالواحات، ويعكس هذا النوع طبيعة العيش وأسلوب الحياة، كذلك سبل التكيف مع الظروف الطبيعية والسياسية الطارئة من الوقت للآخر، و"تعتبر القصور وحدات سكانية وتنظيمات اجتماعية وسياسية، أعلى مرتبة من "العْظَمْ" والأسرة"[1]، وهي ظاهرة عمرانية قديمة النشأة، تميز المشهد العام للواحة، ارتبطت بقدم أشكال التنظيم الاجتماعي بالمجال الواحي منذ فترات قديمة، إذ تم الانتقال من نمط الإنتاج الرعوي القائم على الترحال والانتجاع إلى الاستقرار، حيث تكون الأرض محورا للعملية الإنتاجية، سواء أكان هذا النمط إقطاعيا أو عائليا أو ينبني على المغازي[2]، ومن أبرز خصائصه هو الاكتفاء الذاتي مع قليل من التبادل، حيث "تبرز محورية النمط العائلي للإنتاج في المجتمعات القبلية"[3].

---

[1] ستيتيتو (عبد الله)، التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل أيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2011، ص 106.

[2] أسلوب الإنتاج الخاص بالاقتصاد القائم على الغزو؛ أي انتزاع الفائض من الإنتاج بالقوة، قوة الأمير، وقوة القبيلة، وقوة الدولة. ﴿أنظر: القادري بوتشيش (إبراهيم)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1988، صفحات: 120-121-218﴾.

[3] بن حسن (محمد)، القبائل والأرياف، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، ط1، 1986، ص15.

هذا النوع من السكن له قيمة خاصة لدى سكان الواحات عامةلكونه قادرا على مواجهة قساوة الظروف الطبيعية، سواء في الصيف أو الشتاء، حيث يعتبر القصر "بناء متماسك ومتصل لمجموعة من المنازل المجاورة بعضها البعض، وتخترقه دروب تتفرع كلها عن مدخله الرئيسي، كما أنه وحدة اجتماعية وترابية حكمتها مجموعة من الأعراف والقوانين غير المكتوبة التي تواضعت عليها الساكنة في فترات تاريخية معينة والتي تطورت مع الزمن"[1]. فالقصر، بالنسبة لسكان الواحة، ليس فقط مجرد بيوت متجاورة بمميزات معينة، بل إن القصر يختزن أطيافا من الأجناس البشرية بقيم وأخلاق خاصة متواضع عليها، وعلى الجميع احترامها، ولكل شيء في القصر نظام معين، بدأ من باب القصر إلى الاجتماعات والعلاقات.

يعد القصر وسيلة للحماية من الخطر الخارجي بفعل الحروب وأطماع الجوار، وبهذا اعتمد القصر كوحدة دفاعية آمنة. و"يتضمن لفظ القصر عربيا دلالات غنية مترادفة، متكاملة أحيانا ومتناقضة أحيانا أخرى، ويفسر التناقض بدلالات سوسيولوجية ثرية[2]، فالقصر غاية، غاية البدوي؟ والقصر حبس لأن الغاية حبس... القصر بداية النهاية في الدائرة الخلدونية...القصر إذن مرغوب ومأمول لكن يتبعه خوف لا شعوري"[3].

فسكن القصر يخضع لمجموعة من الاعتبارات الطبيعية والاقتصادية والسياسية والدفاعية، إنه بالنسبة للإنسان الواحي، الحضن الدافئ الذي يختزن بين جدرانه أسرار وقضايا وصراعات، تتفاوت حسب طبيعة العلاقات ونوع اللحمة التي تجمع بين جميع سكانه، وقد "ربط بعض الدارسين الاستقرار بالواحات بغياب الأمن وتجدر القشرة البدوية التي باتت تهدد كل شيء، ومن ثمة كانت للقصور وظيفة دفاعية في المقام الأول"[4]. وهذه الاعتبارات "أحيطت أيضا بملابسات وحيثيات معقدة ناتجة عن ضرورات جغرافية وإيكولوجية وتاريخية"[5]. فالقصر ظاهرة اجتماعية وثقافية عرفها سكان الواحات عموما منذ القديم، لأنها نتيجة لظروف وحاجات الإنسان في علاقته مع المجال.

---

[1] البوزيدي (محمد)، قصور واحات الجنوب الشرقي بين الماضي والحاضر، مجلة المناهل، مدن وحواضر مغربية، عدد 98، مطبعة دار المناهل، الرباط، المغرب، يناير وفبراير ومارس 2020، ص 215.

[2] قسطاني (بن محمد)، الواحات المغربية قبل الاستعمار: غريس نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات-63-، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2005، ص29.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مجلد 05، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ب. ت. ص ص96-100-104.

[4] بن حسن (محمد)، المرجع السابق، ص 185-186.

[5] قسطاني (بن محمد)، المرجع السابق، ص 30.

فالقصر في الغالب عبارة عن تجمعات سكنية، أو أحياء، أو محلات، أو حارات مترابطة ومتلاحمة فيما بينها، يقطنها مجموعة أفراد أو مجموعة عائلات في الغالب، يميزهم النشاط الفلاحي والزراعي في معيشهم اليومي، وهي مجموعات غالبا ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة، وقد تكون مختلفة، يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية. ويشكل القصر مجتمعا قرويا، يتضمن زاوية أو زوايا تشرف على المقدس، يجمعهم نوع من التضامنات والتعاقدات لتنظيم العلاقات بينهم، وقد يكون القصر مؤلفا من مجموعة من القصور أو قصبات، تشتمل على حدائق ﴿فدادن﴾ مشتركة. وغالبا ما يشتمل القصر على باب كبير يجمع جميع السكان، يفتح في الأيام العادية، ويغلق أيام الحرب ويتكلف به شخص معين،

لم تبن القصور نتيجة لرغبات شخصية، ولم يكن السكن في الأصل بالقصر للترفيه أو رغبة في العزلة، فقد كانت الحياة المرتبطة بالترحال والرعي، والبحث عن الماء في الغالب، والرحلات من أجل التجارة التي كانت تتطلب وقفات راحة وغيرها من الأسباب، كان لهذا الوقع الكبير في إنشاء القصور والاستقرار بها، لذلك "أنشئت القصور من طرف القبائل الرحل التي كانت تعتمد على طرق تنقل منتظمة ما بين عمق الصحراء ومدن الساحل، والتي بدورها ساهمت في ازدهار وتطور المدن الصحراوية، فرحلة الشتاء إلى عمق الصحراء، وراء المناخ الملائم والمراعي والعمل على جلب المؤونة والاستعداد للرحيل المعاكس للشمال بعد الرعي الجيد للماشية مع مطلع الصيف، هذا التنقل كان يستدعي تواجد محطات راحة وتمويل، محطات للتبادل التجاري أيضا، وكان ذلك تفسير ازدهار القصور الصحراوية"[1].

مما سبق، نستشف أن القصر عبارة عن منظومة قيمية تتشكل من شروط وقيم وأخلاق وضوابط مشتركة، تم التواضع عليها من قبل جماعة اجتماعية معينة وجدت في فضاء جمعي، يتداخل فيها الأسري والعمراني والسياسي والاقتصادي والوقائي والتضامني. فمنظومة القصر بالواحات المغربية عبارة عن نسق متكامل يشتغل بطريقة عرضانية، ويحكمه التكامل في إطار المشترك، باعتبار سكان القصر أسرة واحدة متضامنة.

2.من سكن القصر إلى خارجه

أصبح للقصر بالواحة اليوم أبوابا متعددة للخروج والدخول بدلا من باب واحد، فلم تعد "الدكانة/الرحبة" تحظى بحضور الجميع، ولم يعد ل "اللامة" معنى في استقصاء

[1] الدباغ (جاسم)، إشكالية الماء في التهيئة والتنمية الصحراوية، مجلة إنسانيات، العدد 01، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، وهران، الجزائر، 1997، ص 36.

الأخبار، والاطمئنان على الحال والأحوال، لم تعد مكانا لاجتماعات اجماعة لوضع الخطط والبرامج، وبهذا لم يعد المشترك هم جماعي. تأثر الجميع بقيم ومغريات المدينة وأصبح التمدين يتمظهر في الواحة بمجرد الدخول إليها، في السكن، في التجهيزات، في اللباس، والأكل، حتى في وسائل الحرث، وجني المنتوج، وتتبدى البيوت في مساكن فردية بعيدة كبديل عن القصر أو القصبة في زخرفتها وشساعتها. "في الثمانينيات من القرن الفائت تم توزيع أراضي الجموع الخاصة بالسكن، على سكان القصور المكونة لتيمتيك، وهي الأراضي الموجودة بالضبط قبالة الطريق الرابطة بين زاكورة ومحاميد الغزلان، مباشرة بعد هذا التوزيع انطلقت عملية التنافس على بناء دور جديدة بعيدا عن مجال القصر، وهو ما جعل السكن الجديد يتمركز حول تيمتيك الحدب، وبذلك لم يعد القصر وحدة سكنية واجتماعية بالنسبة لآل تيمتيك الوسطانية"[1].

أما الزائر من أبناء واحات غريس مثلا، جهة درعة تافيلالت، ومن باب المقارنة بالقصور المجاورة ل "تنجداد"، سيلاحظ بالملموس التحول في قصور فركلة العليا والسفلى، حيث الإهمال الكبير للقصر القديم وتلاشي بعض مبانيه، وتدهور أشكاله العمرانية، وفي المقابل بنيات عصرية مدينية مجاورة، على سبيل المثال: "قصور تزكغين وتغفرت والخربات والنمرو، هي الأكثر إهمالا في جماعة فركلة السفلى والعليا. فتم تغيير ملامح القصر مجاليا، حيث تم التخلي نهائيا عن القصر القديم، وبعض المنازل تم تهديمها لبناء منازل جديدة، ويتعلق الأمر بتلك القريبة من القصر ولم يسجل أي إصلاح في عمق القصر القديم"[2]. فقد اختار السكان الخروج من القصر وبناء مباني جديدة بالإسمنت والحديد بمواصفات حديثة، يظهر شكل البيوت خاليا من مواصفات القصر القديم.

ونعود إلى قصر "تيمتيك" بواحة درعة،حيث السكان سيطرت عليهم القيم المدينية وطريقة البناء، وبذلك تحولت ثقافة القصر وسبل العيش فيه، إذ أنه لم يعد يفي احتياجاتهم في الإقامة، إذ أصبح "تنافس شديد بين عائلات تيمتيك على الالتحاق بالحدب، وبناء دور مستقلة على مساحات تصل إلى حدود 400 متر مربع، وهناك حرص آخر على نقل واستدماج حياة المدينة بدل ثقافة القصر في عالم الحدب. فبعد أن كان القصر وحدة مجالية دفاعية يديرها الجمعي صارت بيوتاته مجرد حظائر للماشية، أو

[1] العطري (عبد الرحيم)، تحولات المجتمع القروي (أسئلة التنمية المؤجلة)، منشورات دفاتر الحرف والسؤال، سلا، مطبعة طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص114-115

[2] Brison, J, "Les villes Sahariennes: Politiques volontaire et Particularisme régionaux", in revue Maghrib Machrek, N°100، Paris éd, ESKA, 1983, p 25.

مخازن للغلات، أو ببساطة مجرد أطلال تتلكأ العائلات في ترميمها"[1].هذا التحول في بنية السكن سيرافقه تغير في قيم التضامن والتكافل داخل القبيلة، فبعد ما كانت "اجماعة" مسؤولة عن التدبير والتسيير الكلي للسكان سيحصل انفلات وهروب من هذا النسق صوب الفردانية والتدبير الفردي للعائلة والقبيلة، وهذه التفرقة فتحت المجال للمخزن للتدخل وإحكام السيطرة التامة على قبائل الواحات.

إن التنافس حول السكن خارج القصر أعقبه مشاكل اجتماعية خطيرة، من ضمنها هدم البنيات الأساسية للمجتمع الواحي التي تتأسس على التضامن والتعاون والعيش المشترك، كذلك إهمال التراث العمراني المتمثل في مكانة وقيمة القصر بمواصفاته التاريخية والتي تجسد للوجود الإنساني وحضارته العريقة على مر العصور. فقد "لقد أدى التوسع الملاحظ مجاليا من انتشار المباني الجديدة، فيلات وعمارات صغرى ومنازل إلى تفكيك المباني القديمة المنتشرة على ضفاف الحقول والبساتين والخطارات المبنية بالمكونات الطبيعية المحلية من طوب وتابوت وحجارة وجريد النخيل وجذوعه"[2].

ومن جهة أخرى، القصور التي تضم مهاجرين، أو بها مصادر مائية مهمة أي لازال صبيب خطاراتها مهما،تجبر السكان على البقاء والحفاظ على الأرض، والقصر، أما التي قدرات سكانها محدودة وقلت أو جفت مياه خطاراتها فإن التوسع بها يكون بطيئا، وإهمال مكونات وبنيات القصر يكون محدودا كذلك، ويكتفون في الغالب ببعض التعديلات للمباني القديمة. "فقد عرفت بعض القصور المأهولة بالسكن وذات الكثافة السكانية بعض الانخفاض، في حين عرفت أخر ارتفاعا ديمغرافيا نسبيا"[3].غير أن قلة الموارد المعيشية دفعت العديد من السكان إلى الهجرة خارج القصر إما إلى المراكز الحضرية القريبة أو البعيدة أو إلى خارج الوطن للعمل وجلب موارد جديدة.

فمغادرة القصر تأتي في الغالب نتيجة البعد عن الخدمات الأساسية والبحث عن العمل أو البعد عن المدرسة. هذا ما يزيد من معاناة السكان وتدهور القصور، إذ لا يهتم بالقصر إلا الفقراء الذين أجبروا على البقاء فيه، أو بعض الميسورين الذين تمكنوا من توفير شروط البقاء. أما المنازل التي تمت مغادرتها، إما أن تباع للسكان المستقرين

---

[1] العطري (عيد الرحيم)، المسألة القروية في المغرب، الأرض والسلطة والمجتمع، مقاربات للنشر والصناعة الثقافية، فاس، المغرب، أبريل 2017، ص 148.

[2] حمداوي (ابراهيم)، الواحة من القصر إلى التمدن، نموذج قصور تزكغين بفركلة: جهة درعة تافيلالت، ضمن كتاب جماعي بعنوان:الواحات المغاربية (المجال والمجتمع والثقافة)، تنسيق: د. ابراهيم حمداوي، ود. محمد دحمان، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، 2019، ص 10.

[3] حمداوي (ابراهيم)، المرجع السابق، ص 11.

بالقصر أو تخصص للمنتوجات الفلاحية أو للبهائم في حالة قربها من السكن الجديد، وفي بعض الحالات يتم التخلي عنها نهائيا وتبقى مغلقة.

عندما حاول الإنسان الواحي تحسين ظروف عيشه، عمل على إدخال مجموعة من التغييرات في نوعية سكنه إما داخل القصر أو خارجه، وذلك من خلال "بناء نموذج سكني مستوحى أساسا من النموذج الحضري بدعوى أن الإنسان الواحي قد غير وسائل تواصله فعوض الحمار والبغل بالسيارة والدراجة النارية"[1].فربما في القديم كان القصر يتوفر على سيارة واحدة أو اثنتين لا غير، لكن اليوم نجد أمام كل بيت سيارة، أو دراجة نارية من النوع الضخم، وأصبحت الأزقة ضيقة في القصر لا تساعد على مرور السيارات والشاحنات، وبهذا اضطر بعض السكان للخروج خارج القصر واعتماد سكن بمواصفات عصرية، وبالتالي أصبح دور الدابة في التواصل منعدما تقريبا مع وجود وسائل النقل الجديدة.

إن حالة التوسع التي عرفها الإنسان الواحي لم تحاول ولو جزئيا إعادة إنتاج مظاهر السكن القديم أو التقليدي، بل تأسست على النمط العصري التي تمظهر في مساكن بالحديد والإسمنت، فظهر الشكل الجديد من فلات صغرى ومساكن مستقلة، وبالتالي لا وجود للسكن الجماعي الذي يعزز اللحمة والتضامن والعيش المشترك، في إغفال تام لكل أشكال التراث الثقافي والمعماري المحلي.

3.تحولات المنظومة القيمية للقصر

القصر يعد منظومة قيمية مشتركة بين جميع السكان الذين يقطنون فيه، وذلك لأنه عبارة عن مجموعة من القيم والأخلاق والمبادئ والأساليب التي تؤطر العيش داخله، والتي من المفروض من الجميع أن يتمثلها ويحترمها، لضمان العيش الكريم داخل القصر، من حسن الجوار والتآزر والتواصل الدائم، لتحقيق العمل المتضامن والمشترك. غير أن "الوضعية الراهنة للقصور رافقتها تغيرات جذرية على مستوى بنية الأسرة، حيث تم الانتقال بشكل كبير من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية، وتحولت فيها المكانة الاجتماعية حيث تم نقل السلط من الجد والجدة"[2].

فالمكانة داخل الأسرة في القصر القديم كانت بيد الجد والجدة، إضافة إلى الابن الأكبر، هذا الأخير كان هو صاحب الرأي والمشورة إلى جانب أبويه، فقد كان يمثل الأسرة

[1]Othmane. T., "Les Rôles des Financements dans les Transformations des Ksour", in Cahier du CRASC, N 32, 2016, pp 59-71.

[2]Messahel. A., "Alliance et Relations Matrimoniales dans les Anciens Ksour du sud-ouest", in Cahier du CRASC, N 32, 2016, pp 95.

في حالة غياب الأب ويبيع ويشتري بتفويض من أبيه. أما الجدة فكانت المسؤولة الأولى عن تدبير أمور البيت، من اختيار زوجات الأبناء وجعلهم تحت إمارتها، وتوزيع الأدوار بينهم وتدبير العلاقات الخارجية مع العائلات والأسر والجيران، وهي التي توزع المؤونة داخل البيت وبيدها مفاتيح المخازن.

وفي ظل التوجه الجديدللسكن بالواحة، وما رافقه من تحول على مستوى بنية الأسرة، تغيرت الأدوار والوظائف فأصبح دور الجد والجدة والأب استشاريا،وأضحى اتخذ القرار بيد الأبناء بشكل مستقل، كما أن العروس في بيتها تدبر أمورها بكل استقلالية، أما دور الجد والجدة أصبح ثانويا. أما العلاقة بين الإخوة تحولت من اللحمة والتعاون إلى الاستقلالية والعمل الفردي، حيث للجمع رأي خاص وتصور خاص، يسعى من أجل المصلحة الفردية.

أما بخصوص التضامنات داخل قبيلة الواحة، كان لها تأثير كبير على مستوى التماسك الاجتماعي من خلال خلق دينامية كبيرة داخل القصر، والمساهمة في عمليات السلم والتكافل والتعاون، وبهذا "جل التضامنات التي بنيت على التعاقد بين الأفراد داخل قبيلة الواحة، أو بين القبيلة وقبيلة أخرى مجاورة، سعت إلى خلق نوع من الحيوية والاستمرارية للحياة داخل المجتمع، بناء على أحكام الشرع التي كانت تشرف عليها الزوايا من طرف الصلحاء، وأحكام العرف التي أنشأها الإنسان في علاقاته مع البيئة، من أجل التكيف مع الظروف الطبيعية والتغيرات الثقافية، وهذه التضامنات أصلها أمني دفاعي في أغلب الأحيان، إلا أن هناك اتجاه أخر ينبني على التعاون والتكافل في أنشطة الإنسان الواحي"[1].فمختلف هذه القيم التضامنية اليوم غير قابلة للاستعمال أو تجوزت في ظل سعي الجميع نحو العمل الفردي، فالكل لم يعد يعير اهتماما لتنظيف الساقية، أو لأعمال الأرض، أو لحائط الزقاق الذي سقط أو هدم سهوا، أو الكتاب القرآني الذي يحتاج الإصلاح، فقد أصبح الفردي يحتل القيمة والمكانة في مقابل المشترك.

ومن أمثلة هذه التضامنات نذكر عقد الخاوة بين القبائل، والذي تعدى القبائل المجاورة إلى قبيلتين من واحتين متجاورتين بتافيلالت كمثال، فهذا"واحد من أكثر مواثيق الخاوة أهمية تم إحداثه بين "أيت خباش" وبني محمد وهي ﴿قبيلة عربية بالريصاني﴾، حدث قبل معركة "تيميمون" التي قتل فيها أربعون رجلا لدى "أيت خباش"

[1] الصادقي العماري (الصديق)، تحولات المجتمع القروي بالمغرب-نماذج وقضايا-، ضمن كتاب جماعي بعنوان: ديناميات وتحولات المجتمع المغربي-دراسات سوسيولوجية وأنثروبولوجية-، تنسيق وتقديم: الصديق الصادقي العماري ورشيد الزعفران، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، ط1، 2020، ص 23.

في الجزائر، ومع ذلك فأبناء اليتامى أصبحوا إخوانا لأيت بني محمد"[1]. فبالرغم من الاختلافات والصراعات الكبيرة التي كانت بين العرب والأمازيغ بتافيلالت، وبالرغم من اختلاف المجال الجغرافي، ف "أيت بني محمد" عربية الأصل من واحات زيز، وتم ضمها تحت لواء حلف "أيت خباش" من واحات غريس لأنها كانت تعاني التهميش والإقصاء، وتعيش في حرب وصراع دائمين مع القبائل المجاورة. تلك هي شيم وأخلاق الإنسان الواحي في مواجهة التفرقة وتحقيق التكافل والتضامن. وفي هذا الإطار، يؤكد "جورج سبيلمان": "أن «بني محمد» الموجودين في منطقة الريصاني ينتمون إلى عرب المعقل وهم أبناء "عرب الصباح"، وهذا لم يمنعهم من محاربتهم من مئات السنين، وهم موالون «لآيت خباش» الذين كانوا في صراع مع قبائل عرب الصباح"[2].

هذه القيم والأخلاق التضامنية لها حضور تاريخي بالواحات المغربية، لأنها الترياق أو الروح التي تنعش كل مكوناتها، وبدونها لن يحصل التعايش والتواصل الدائم من أجل استمرارية الحياة داخل القصر. وعند الوقوف"بمنطقة دادس (ضمن واحات درعة)، التي تتميز بمجموعة من الأشكال التضامنية في إطار معاهدات واتفاقيات. نجد معاهدة "تايسا"، كما هو الحال بالنسبة للواحات القروية المغربية، نوع من الترابط بين الأشخاص أو العائلات أو بين القبائل، وهي "مشتقة من "يسي" (أخذ) و"إكسا" (رعى)، وتعني الحماية التي تفرضها القبائل على الطرق التجارية، وكذلك حماية كل من يستغيث بالقبيلة"[3].

وبهذا المعنى، تحاول المعاهدات والاتفاقيات ذات البعد التضامني أن تضع شروطا وضوابط من أجل خلق سبل العيش السلمي، وتفادي كل أشكال الصراع والتطاحن، ومن وجهة أخرى حفظ الحقوق الخاصة بسكان القصر وفي نفس الوقت الوافدين على القصر أو المارين منه، إنها أخلاق وقيم تواضع عليها الإنسان الواحي لتحقيق التكيف مع الظروف الطبيعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. وفي هذا الإطار، "حسب العرف العطاوي فإن كل شخص ارتكب جريمة قتل خارج حدود القبيلة، وطلب النجدة، فإن الجماعة تعقد دورة استثنائية، وتحدد له أجلا معينا، فإذا لم يكن هناك من يطلب

---

[1] الزعفران (رشيد)، أشكال الحماية وطقوس التحالف في المجتمع التقليدي بالجنوب الشرقي، ضمن كتاب جماعي بعنوان: الواحات المغاربية ﴿المجال والمجتمع والثقافة﴾، تنسيق: د. إبراهيم حمداوي، ود. محمد دحمان، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، 2019، ص 127.

[2] سبيلمان (جورج)، آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا، تقديم وترجمة: امحمد احدى، منشورات كلية الآداب، جامعة بن زهر أكادير، المغرب، ط2، 2011، ص125.

[3] الصادقي العماري (الصديق)، المرجع السابق، ص 25.

الدية، فإن طالب النجدة يدخل تحت الحماية حرا طليقا، مثله مثل جميع أفراد القبيلة"[1].

وتتعدد قيم التضامن والصلح لتحقيق الأمن والسلم داخل الواحة، ونجد لذلك مثالا آخر بواحة غريس خاصة منطقة كلميمة التابعة لإقليم الرشيدية، حيث السعي الدائم لتحقيق الأخوة بين أفراد القبائل وداخل القبيلة نفسها على مر التاريخ، وفي هذا الصدد "معاهدة "تفركانت" التي تتم في حفل حليب تشرف عليه الجماعة، إذ تجتمع النساء المرضعات من القبيلتين المعنيتين بالأمر في مكان معين، بحضور شيخي القبيلتين، حيث يتبادلن الأطفال بينهما، ويتم إرضاع كل أطفال القبيلة من طرف نساء القبيلة الثانية، وبعد ذلك تسترجع كل امرأة ابنها. وبذلك تكون القبيلتين قد وقعتا معاهدة الأخوة "تَيْمَاتْ"، كما يمنع التزاوج بينهما، ويسمون هذه العادة بعد ذلك ب "أيت أُغُو" بمعنى إخوة من الرضاعة"[2]، ويقول "دافيد هارت David Hard" بخصوص "تفركانت"، أنها تتم أيضا على الشكل التالي: "يجمع حليب امرأتين مرضعتين، واحدة من كل قبيلة تختارها "الجماعة"، في إناء، فيتناول كل زعماء هذه القبيلتين من هذا الحليب شربة رمزية، وبعدهم الرجال الحاضرون وخاصة "إجماعن"، وفي الأخير يتم دفن الإناء في مكان المعاهدة.[3]وحسب الرواية الشفوية، هذا ما صادقت عليه "الجماعة" في معاهدة "تفركانت" بين أيت هارون وأيت سرغين، التي لازالت لاصقة في الأذهان، حيث يمنع التزاوج بينهما لحد الآن"[4].

وبالعودة إلى واحة فركلة، خاصة فيما يتعلق بالتأطير والتكوين الذي كانت تشرف عليه الزوايا، باعتبارها مؤسسة اجتماعية حية داخل القصر، لم تعد أدوارها سارية المفعول، خاصة ما يتعلق بحفظ القرآن الكريم، والتفسير، وتقديم الدروس من أفواه المشايخ في مختلف العلوم والتخصصات، فقد أصبحت مهجورة يطالها النسيان خالية من السيوخ والمريدين، لأن الجميع انشغل بأمور الحياة. وبذلك "الزاوية التي كانت تسهر على التأطير الديني والقيمي بالقصر لم تعد موجودة كما كانت عليه في السابق، فهيكلة الحقل الديني وتمدرس الأبناء والنمو الديمغرافي، وعدم قدرة الزاوية على مسايرة تطورات العصر، وعدم قدرتها على الاستمرارية بنفس الوهج، لكون أبناء الشيوخ

---

[1] رواية شفوية، الأستاذ: مصطفى بن موح، دوار سرغين، جماعة الخميس دادس، تنغير، 31 سنة، باحث في ماستر سوسيولوجيا المجالات القروية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ساس، فاس، المغرب. الأحد 14 دجنبر 2020.

[2] الصادقي العماري (الصديق)، المرجع السابق، ص 25.

[3] David Hart, "Dada Atta and His Forty Grandsons: Sociopolitical Organization of the Ait Atta Of Southern Morocco", Pub: Rutledge, March 2, 1983, P: 188-189.

[4] رواية شفوية، الأستاذ: يوسفمكناسي، دوار سرغين، جماعة الخميس دادس، تنغير، 40 سنة.الأحد 14 دجنبر 2020.

والمقدمين هم الآخرون انخرطوا في الهجرة والأعمال الفلاحية والتجارية ولم يعد لهم اهتمام بالمجال الديني، وظهور الحركات الدينية التي حاصرت دور الزوايا من خلال اهتمامها بالبدع والخرافات..."[1].

تعرضت كل هذه القيم والأخلاق للزوال بفعل المؤثرات المادية والصراعات حول الأرض والتسابق نحو الحياة العصرية، "فالخيمة الواحدة اليوم تضم ثلاث سيارات فأكثر، ومع ذلك لا يتم استثمار هذه الرساميل المواصلاتية في تجسير العلاقات حتى مع أبناء العمومة الأقربين"[2]. طغت على الإنسان الواحي مجموعة من الانشغالات المادية والاقتصادية، وتقلصت مسافات التآزر والتعاون والتضامن، إذ أصبح هذا الإنسان يفكر مثل المديني، لا يسمع إلا صوته ولا يفكر إلا في المادة وفي نفسه، وبهذا أصبح المشترك في الواحة على الهامش.

فالخطارة التي كانت تشكل هم الجميع، باعتبار الأرض الزراعية مصدر القوت الوحيد لسكان القصر، أصبحت اليوم مهملة بشكل كبير وعديمة أو ضعيفة الجريان، وحتى إذا تم التفكير فيها يتم عقد لقاءات ومهرجانات ثقافية باسم الخطارة، كما هو الحال في منطقة الجرف بواحات غريس السفلي، حيث يعقد مهرجان دولي أو وطني تحت اسم "مهرجان الخطارات" تشرف عليه جمعية تحمل نفس الاسم، باعتباره تراثا ثقافيا بالمنطقة، حيث ترصد له موارد مالية ضخمة من المؤسسات الرسمية بالجهة، لكن عندما نتساءل عن القيمة الإضافية التي قدمها المهرجان لهذا الموروث، يكون الجواب هو الاحتفاء به والطمع في إدراجه ضمن الموروث العالمي فقط لا غير. تحولات قيمية خطيرة أصبحت تهدد قبيلة القصر، فالإنسان الذي كان يأكل من إنتاج أرضه، ويلبس من صنع يده، أصبح اليوم يعتمد على الاستيراد من المدينة ومن الأسواق المحتضنة لكل جديد.

هي مواصفات جديدة لقبيلة القصر، من حيث أدوار ووظائف وانشغالاتكل أعضائها الفاعلين، لكن كلها تندرج في إطار المصلحة الخاصة، فالقبيلةتغيرت معالمها، وذلك بسبب تغيرات عميقة في الإنسان والمجال والقيم،فالأعضاء أنفسهم الذين كانوا ينشغلون بمصلحة وهموم السكان دخلوا اليوم في تواطآت غاشمة، فبنيات "القبيلة المغربية تعرضت في التاريخ الحديث والمعاصر إلى تغيرات وتحولات جذرية أثرت في حجمها ووظيفتها عبر المراحل المتتالية...، فاختلاف المحددات الإيكولوجية، وتباين درجات التفاعل مع الدخلاء الأجانب، وتعدد أنماط الإنتاج وأشكال العلاقة مع الفضاء، أدت إلى

[1] حمداوي (ابراهيم)، الواحة من القصر إلى التمدن، نموذج قصور تزكغين بفركلة: جهة درعة تافيلالت، مرجع سابق، ص 13.

[2] العطري(عبد الرحيم)، المسألة القروية في المغرب، الأرض والسلطة والمجتمع، ص 100.

اختلاف المواصفات المشتركة للمجموعات المغربية... فإن القبائل، مع الإطار الشمولي الذي كانت تنتظم فيه، لم تكن على درجات متساوية من حيث الاندماج والانصهار"[1].

إن قبيلة القصر في الوقت الراهن، أصبح لها وجود من نوع آخر، هو وجود الأطلالخالية من كل أشكال الحياة التقليدية الأصيلة، "فقد عملت السلطات على إحداث وظائف أخرى وخدمات جديدة ظهرت في آخر المطاف كتجزيء بسيط لسلطتها"[2]، فشيخ القبيلة انحاز لصالح مصالح المخزن بدل وقوفه إلى جانب مصالح السكان، بل أصبح موظفا من موظفي الدولة. فإصلاح وترميم القصر أو الالتفاف لتنظيف أو إصلاح الساقية أو الخطارة أو غيرها من المصالح، فناذرا ما يتم الاجتماع من أجلها، فزيارات الشيخ للقايد المتكررة، وحضوره معه في الولائم والاحتفالات، واجتماعه بأعضاء القبيلة لإخبارهم بالقوانين والتنظيمات الجديدة التي كلف بتبليغها من القايد شخصيا، أصبحت الهم الوحيد للشيخ. أما "اجماعة" فتجتمع وتتزين من أجل الحضور في الموعد لاستقبال أهل المخزن أو وفود من المركز لتشييد مؤسسة رسمية.لذلك "صلاحيات اجماعة لم تكن تجسيدا تاما للإرادة الجماعية، ولا تعبيرا شاملا عن مكونات الكيان القبلي، وبالتالي فرغم ما قد يبدو عليها من مسحة المساواة، فإنها لم تكن تنجوا من ضغوط الأقوياء والأغنياء، بغية توجيه قراراتها نحو الاستجابة لصالحهم. كما لم تكن تخلو من منافسات ونزاعات حادة فيما بينهم حول من سيكون له النصيب الأوفر من ثمار الحكم وفوائده"[3].

الحالة المؤسفة التي أصبحت عليهامنظومة القصرلم تنتج من فراغ، وإنما ارتبطتبمجموعة من المتغيرات والمؤثرات، ومن ضمنها امتداد سلطة المخزن داخل "اجماعة" ومحاولة التحكم في كل عناصرها وتسخيرهم لصالحها، حيث "تم إفراغ الجماعة من وظائفها السياسية والتقريرية، وأصبح أعضاؤها بمقتضى ظهير21 نونبر1916 يعينون من قبل السلطة، كما أصبحت وظائفهم مجرد وظائف استشارية"[4]. فالمحاولة كانت من أجل إعادة بنينة مؤسسة اجماعة، وخلق وظائف وأدوار جديدة لها والقضاء على النيات التقليدية للقبيلة، لأن اجماعة في الأصل تنبع من سكان قبيلة القصر وبتفويض منهم، لأنها مؤسسة يفترض أن تسهر على مصالحهم. ففي كل مرة تتجه

---

[1] الهراس (المختار)، تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب: أنجزت كنموذج، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي، والتقني، الرباط، المغرب، 1988، ص 267.

[2] Paul pascon, "Etudes rurales:Idées et Enquêtes sur la Compagne Marocaine", SMER, Rabat, 1980, p19.

[3] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص164.

[4] أقفلي(حماني)، الحزب والقبيلة: ملاحظات حول بعض عوائق التحديث السياسي في العالم القروي،ضمن كتاب جماعي بعنوان: "التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية"، تنسيق:د. المختار الهراس، ود.إدريس بن سعيد،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 2002،ص 102.

الدولة صوب إجراءات ومقتضيات تدعي فيها التنمية والتطور، لذلك كان "آخر مسمار دق في النعش السياسي للجماعة، على الأقل في التدبير الرسمي، كان هو نظام الجماعات القروية والبلدية... بديلا للتدبير التقليدي والعفوي للمشترك المجتمعي"[1].

في الوقت الراهن، وبفعل مجموعة من المحاولات الاستدراجية من طرف المخزن للتحكم في كل بنيات قبيلة الواحة،تولد لدى الإنسان الوحيتمثل خطير رسم صورة نمطية لديه عن قدرة المخزن،بأن الدولة لها سلطة وإرادة لإيجاد حلول لكل شيء، في التشغيل أو الفلاحة أو التعليم أو في خلق منافذ وفرص كبيرة لتحقيق التنمية المحلية، بل وتعتقد أن ربط الواحة بشبكة الكهرباء أو شبكة الماء الصالح للشرب أو بالطرق المعبدة يعد كافيالتحقيق التنمية المطلوبة. وبهذا التمثل أصبحت للدولة قوة كبيرة مقارنة مع إمكانات القبيلة، وفي ضوء ذلك تولدت أفكار وتمثلات من قبيل "الدولة قادة براسها"، وكل ذلك بفضل النخب المحلية والأعيان الذين تجذروا بفضل صناعة واجهة قوية في جميع المواقف. فقد تحول الإشراف والتسيير والتدبير إلى مهام ووظائف الدولة بدلا من القبيلة و"اجْماعة".

خاتمة

عرفت منظومة القصر مجموعة من التغيرات العميقة على مستوى المعمار وكذلك القيم المجتمعية، وقد انعكست هذه التحولات على اللحمة والحرارة الاجتماعية التي كانت مصدرا للعيش الكريم والكرامة الإنسانية، ومصدرا لأخلاق التضامن والتكافل الاجتماعي في كل الأفراح والأقراح. فاليوم تغير كل شيء في القصر، ويظهر ذلك في الأشكال الثقافية الجديدة التي طغت على كل ممارسات الإنسان الواحي، الذي أصبح يتنافس حول البناء بمواصفات عصرية في إغفال تام لكل مميزات القصر التقليدي، وما يتبع هذا التوجه العصري من أشكال اللباس والأكل ونوع اللغة الجديدة وغيرها من السلوكيات التي لم تكن الواحة تعرفها من قبل.

التحول اليوم، رهين بخلق تمثلاتكثيرة لدى سكان قبيلة القصر، وهذا الأمر سخر له الأعيان من أجل صنع وجاهة مزيفة، ومحوره الخصول امتيازات جمة من المخزن،والتي يجود بها على السكان بدعوى المصلحة ومحاربة الفقر والهشاشة للرفع من مستوى المعيشة، من قبيل ربط الواحة بالطرق المعبدة وشبكة الماء الصالح للشرب، وشبكة الكهرباء، وتقديم بعض الإكراميات ك "قفة" رمضان، والتوظيف في الإنعاش...، إنها محاولات هشة لا تمت بصلة للتنمية الحقيقة، لكنها بالنسبة للإنسان الواحي،

[1] العطري(عيد الرحيم)، تحولات المجتمع القروي ﴿أسئلة التنمية المؤجلة﴾، ص 105.

الغارق في الكدح من أجل قوته اليومي، أمر عظيم له دور كبير في استمرارية الحياة. وفي إطار هذه المفارقة، تغيب المصلحة العامة، وتتيه الثوابت الأساسية للمجتمع الواحي، ويتعزز التحكم والسيطرة بشكل غير مباشر.

فهجرة القصر يمكن إرجاعهالاعتبارات أخرى، قد ترتبط بضعف الموارد المائية السطحية والباطنية، وتوالي سنوات الجفاف، والبعد عن المدن، كذلك ضعف البنية الإنتاجية والاقتصادية...، مما يؤثر في الاستقرار البشري وأشكال استغلال المجال الواحي. فبحكم الخصائص المناخية تعاني الواحات من طول مدة الجفاف في السنة، مما يؤثر على المنتوج الفلاحي. كل هذه العوامل وغيرها جعلت من الهجرة الداخلية والخارجية حلا للسكان في محاولة لتعويض النقص الحاصل في الموارد، ومنهم من أُصلح حاله بفعل عائدات العمل في المدن أو بلاد المهجر واتخذ بيتا عصريا خارج القصر، ومنهم من أخذ معه أسرته إلى المدينة أو إلى الخارج ولا يعود إلا مرة في السنة أو على رأس كل سنتين أو أكثر.ويبقى السؤال المركب الذي يفرض علينا وجوده في هذا الصدد، هو: ماذا تبقى من منظومة القصر؟ وكيف السبيل للعودة إلى القصر بنفس تجديدي، يحفظ للمعمار أصالته وللإنسان الواحي قيمته ومكانته الاعتبارية التي كان يتميز بها من قبل؟

بيبليوغرافيا

الكتب باللغة العربية

ـ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

ـ ابن منظور، لسان العرب، مجلد 05، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ب. ت.

- البوزيدي(محمد)، قصور واحات الجنوب الشرقي بين الماضي والحاضر، مجلة المناهل، مدن وحواضر مغربية، عدد 98، مطبعة دار المناهل، الرباط، يناير وفبراير ومارس، 2020.

ـ الهراس(المختار)، تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب: أنجزت كنموذج، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي، والتقني، الرباط، 1988.

- العطري(عبد الرحيم)، المسألة القروية في المغرب، الأرض والسلطة والمجتمع، مقاربات للنشر والصناعة الثقافية، فاس، المغرب، أبريل 2017.

- العطري(عبد الرحيم)، تحولات المجتمع القروي (أسئلة التنمية المؤجلة)، منشورات دفاتر الحرف والسؤال، سلا، مطبعة طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1، 2009.

- القادري بوتشيش(إبراهيم)، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

- بن حسن(محمد)، القبائل والأرياف، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، ط1، 1986.

ـ سبيلمان(جورج)، آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة العليا، تقديم وترجمة: امحمد احدى، منشورات كلية الآداب، جامعة بن زهر أكادير، المغرب، ط2، 2011.

- ستيتيتو(عبد الله)، التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل أيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2011.

- قسطاني(بن محمد)، الواحات المغربية قبل الاستعمار، غريس نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، سلسلة الدراسات والأطروحات63، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005.

✓ الكتب الجماعية

ـ أقفلي(حماني)، الحزب والقبيلة: ملاحظات حول بعض عوائق التحديث السياسي في العالم القروي،ضمن كتاب جماعي بعنوان: التحولات الاجتماعية والثقافية في البوادي المغربية، تنسيق:د. المختار الهراس، ود. إدريس بن سعيد،ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002.

ـ الزعفران(رشيد)، أشكال الحماية وطقوس التحالف في المجتمع التقليدي بالجنوب الشرقي، ضمن كتاب جماعي بعنوان: الواحات المغاربية ﴿المجال والمجتمع والثقافة﴾، تنسيق: د إبراهيم حمداوي، ود محمد دحمان، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، 2019.

- الصادقي العماري(الصديق)، تحولات المجتمع القروي بالمغرب-نماذج وقضايا-، ضمن كتاب جماعي بعنوان: ديناميات وتحولات المجتمع المغربي-دراسات سوسيولوجية وأنثروبولوجية-، تنسيق وتقديم: الصديق الصادقي العماري ورشيد الزعفران، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، ط1، 2020.

- حمداوي (ابراهيم)، الواحة من القصر إلى التمدن، نموذج قصور تزكغين بفركلة: جهة درعة تافيلالت، ضمن كتاب جماعي بعنوان:الواحات المغاربية ﴿المجال والمجتمع والثقافة﴾، تنسيق: د. ابراهيم حمداوي، ود. محمد دحمان، مطابع الرباط نت، الرباط، المغرب، 2019.

مقالات المجلات

- الدباغ(جاسم)، إشكالية الماء في التهيئة والتنمية الصحراوية، مجلة إنسانيات، العدد 01، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، وهران، الجزائر، 1997.

الروايات الشفوية

- رواية شفوية، الأستاذ: مصطفى بن موح، دوار سرغين، جماعة الخميس دادس، تنغير، 31 سنة، باحث في ماستر سوسيولوجيا المجالات القروية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ساس، فاس، المغرب. الأحد 14 دجنبر 2020.

- رواية شفوية، الأستاذ: يوسف مكناسي، دوار سرغين، جماعة الخميس دادس، تنغير، 40 سنة،الأحد 14 دجنبر 2020.

مراجع ومصادر باللغة الأجنبية

- Brison,J, «Les villes sahariennes: politiques volontaire et particularisme régionaux», in revue Maghrib Machrek, N°100،Paris éd, ESKA, 1983.

- David Hart, «Dada Atta and His Forty Grandsons: Sociopolitical Organization of the Ait Atta Of Southern Morocco», Pub: Rutledge, March 2, 1983.

- Messahel. A., «Alliance et relations matrimoniales dans les anciens Ksour du sud-ouest», in Cahier du CRASC, N 32, 2016.

- Othmane. T., «Les rôles des financements dans les transformations des Ksour», in Cahier du CRASC, N 32, 2016.

- Paul pascon, «Etudes rurales:Idées et Enquêtes sur la Compagne Marocaine», SMER, Rabat, 1980.

- ما يهم الباحث السوسيولوجي في مجال "مركب" هو تحديد مستويات وآليات التغير، هل تغير المؤسسات والبنيات الاجتماعية يسير بنفس تحول العلاقات والمعتقدات؟ أم أن هذا التحول يطبعه اللاتوازن إذ يتم قبول، بل استيعاب وتملك التحولات المؤسساتية والتكنولوجية، بينما لا تعرف العلاقات والتمثلات نفس المنحى، إذ تزداد مقاومتها للتحول بكيفية ملحوظة. لهذه الاعتبارات، واستنافا لذات التساؤل المعرفي، يأتي هذا الكتاب الجماعي مفكرا في سوسيولوجيا التغير الاجتماعي، وممهورا بتوقيع باحثات وباحثين من مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية، أعضاءً دائمين ومشاركين وباحثين، وذلك لأجل مساءلة التغير الاجتماعي في مجالات الدين والتدين والهوية والتحولات القيمية والمجتمعية.

- لهذا يسعى هذا الكتاب الجماعي إلى استدعاء مفاهيم وقضايا تنفتح/تنغلق على قارات التحولات القيمية عبر استثمار نمط تفكير علائقي، يتجاوز القراءة الأحادية النظرة، إلى استحضار "التداخل الدلالي" و"التناص الاجتماعي" الذي يَسِمُ الواقع المجتمعي، فالتفكير سوسيولوجيا في القيم والهوية والدين والتحول، هو بالضبط إمكان اشتغال على كثير من الديناميات التي تعتمل في ذات الواقع، مع التأكيد دوما على أن يهمنا، من الناحية السوسيولوجية، هو اللعب والرهان le jeu et l'enjeu في إنتاج وتدبير القيم في سياق الراهن.

المشاركون في الكتاب:

عبد الرحيم عنبي، عبد الهادي أعراب، عبد الرحيم العطري، كوثر لبداوي، محمد راضي، محمد خالص، أناس بن الشيخ، نجاة الوافدي، محمد بوالنعناع، علي تيزنيت، إبراهيم بلوح، محمد قنفودي، مصطفى بنزروالة، هشام كموني، نادية حرفي، الصديق الصادقي العماري، سفيان شعو.

مطبعة آنفو-برانت
Imp. Info-Print
Tél: 05.35.64.17.26
Fax: 05.35.65.72.47